قد اعظم الاجر في مسيركم وانتم سايرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون
ولم يكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها
مجبرين فقال الشامي وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقنا
عنها كان مسيرنا وانصرافنا فقال رضه ويحك يا اخا اهل الشام
لعلك ظننت قضاء حتما لازما وقدرا حاتما جازما لو كان ذلك
كذلك بطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر
من الله والنهي وما كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسيء
ولا المسيء بعقوبة والذنب من المحسن تلك مقالة عبدة
الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور
وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله امر عباده تخييرا ونهاهم
تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الانبياء
لعبا ولم ينزل الكتاب عبثا ولا خلق السموات والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار
فقال الشامي فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وكان
مسيرنا بهما وعنهما قال رضه الامر من الله تعالى بذلك ثم تلا وكان
امر الله قدرا مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع من المقال
وقال فرجت عني يا امير المؤمنين فرج الله عنك ثم انشا الشيخ يقول

انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربي بالاحسان احسانا
وقال عمر بن عبد العزيز رضه لمن سأل عن القدر فقال الله لا يطالب
بما قضى وقدر وانما يطالب عما نهى وامر وحده الاشارة منه
على وفق العبادة السابعة يعني قول علي رضه الامر من الله بذلك
وقوله وقد اعظم الله الاجر على مسيركم الى علي وفقها ورد في الكلام
القديم من قوله تعالى لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة
في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو
نيلا الا كتب لهم به عمل صالح وفي قوله تعالى ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء دلالة ظاهرة على ان التقدير
ليس بما لزم فانه لو كان نصيب كل شخص من الخير والشر مقدرا
بحيث لا يحتمل الزيادة والنقصان لما كان للتعليق المذكور وجه صحة
وتفصيل ذلك انه لو كان للتقدير تأثير بجعل المقدر على حد معين خيرا
كان او شرا حتما مقضيا لم يكن بد من حصول المقدر ولمن قدر له نفعا
كان او ضرا ووصوله اليه كثيرا ما كان او عرضيا فيلزم من ذلك
ان لا يكون لقدرة العبد واختياره مدخل في جلب نفعه
ودفع ضره عاما كان باسبابها او جابلها واللازم منتف عادة